دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	المعاقبة " من الجانب الصوتي الصرفي "
المصدر:	مجلة كلية دار العلوم جامعة القاهرة - مصر
المؤلف الرئيسي:	الجندي، أحمد علم الدين رمضان
المجلد/العدد:	ع 3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1971
الصفحات:	197 - 210
رقم MD:	153611
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	النقد اللغوي، اللغة العربية، النحو، الصرف، الاصوات اللغوية، الإعراب، النحاة العرب، اللغة الفصحى، الأفعال، مخارج الحروف، الحروف العربية، المعاقبة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/153611

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

المعاقبـــة

« من الجانب الصوتى الصرفى »

دكتور أحمد علم الدين الجندى

المعاقبة :

رأينا فى لغتنا العربية ، بل وفى الساميات أيضا كثيرا ما تتعاقب الواو مع الياء، كما رأينا أيضا هذا التعاقب بين الضمة والكسرة ونسوق بعض الأمثلة لبيان هذا :

١ ــ المياثر والمواثر ، والمواثق والمياثق[١] .

٢ ــ وقد دوخوا الرجل وديخوه ، « ومالك تتحوز منى كما تتحوز الحية » وقد تحيزت إلى فئة ، وقد تحوزت ، وساغ الرجل طعامه يسيغه ، وبعضهم يقول « يسوغه » [٢] .

٣ ــ إن فلانا سريع الأوبة والأيبة [٣] ويمكن أن تكون هذه معاقبة فى العين ، كما قد تكون المعاقبة فى اللام أيضا من ذلك :

كنوت الرجل وكنيته [٤] ، وعزوت الرجل وعزيته [٥] ــ إذا نسبته إلى أبيه،

كما قد يكون هذا التعاقب فى التثنية ومن ذلك : نسيان ونسوان ، ورحوان، ورحيان [٦] .

---

(١) المخصص : ١٤ ــ ٩ ، اللسان : ٢ ــ ٣٢٥ ــ ٣٢٦ .

(٢) أدب الكاتب : ٣٦٥ ط السعادة تحقيق محيى الدين . المخصص : ١٤ ــ ٢٠ .

(٣) أدب الكاتب : ٤٥٩ (٤) مزهر السيوطى : ٢ ــ ٢٧٩ ، أدب الكاتب : ٣٦٤.

(٥) أدب الكاتب : ٣٦٤ (٦) المخصص : ١٤ ــ ٢٥

ويكون بين الواو والياء فى الجمع مثل : هو ذو دغيات ودغوات[1] ، كما قد تعتقب الواو والياء على فعول كقولهم : هو الكذاب الأثوم والأثيم[2] ، وقد تعتقب الياء والواو زائدتين من بنات الأربع كقولهم : مما رواه ابن السكيت :

جعلته على حنديرة عيني ، وحندورة عيني — أى نصب عيني[3] . وقد نجد حكما لأحد أئمة العربية حيث يرجح صيغة على أخرى كقول أبى عبيد : « والحنديرة أجود »[4] .

ولكن هل يمكن أن نضع نظاما للقبائل تسير عليه إزاء هذه الظاهرة ؟ كأن ندعى مثلا أن هذه القبيلة تؤثر نظاما من المعاقبة تتخالف به مع القبيلة الأخرى . أرى أنه لا يمكن أن نحسم برأى ، حتى نستدل بنصوص لهجية ، من شأنها أن تساعدنا فى الحكم ، وإليك بعضها :

١ — ما روى عن الأصمعى من قوله : سألت المفضل عن قول الأعشى

لعمرى لمن أمسى من القوم شاخصا لقد نال خيصا من عفيرة خائصا

فقلت ما معنى خيصا خائصا ؟ فقال : أراه من قولهم : فلان يخوص العطاء فى بنى فلان — أى يقلله فكأن خيصا شىء يسير ، ثم بالغ بقوله : خائصا — قلت له : فكان يجب أن يقول : لقد نال خوصا ، إذ هو من قولهم هو يخوص العطاء فقال : هو على المعاقبة ، وهى لغة لأهل الحجاز »[5] . وزاد اللسان « وأهل الحجاز يسمون : الصواغ ، الصياغ ، ويقولون : الصيام : للصوام ، ومثله كثير »[6] ولقد عزا الفراء الصيغة اليائية إلى الحجاز[7] ومثل ذلك فعل ابن جنى فى محتسبه ،[8] وابن خالويه فى شواذه[9] ، وابن السكيت فى إصلاحه[10] ، وابن سيده فى مخصصه[11] ،

---

(١) أى أخلاق رديئة .
(٢) المخصص : ١٤ — ٢٥
(٣) المرجع السابق .
(٤) المرجع السابق .
(٥) المخصص : ١٤ — ١٩
(٦) اللسان : ٨ — ٣٠٠ .
(٧) معانى القرآن للفراء : ١ — ١٩٠
(٨) المحتسب : ١ — ١٧٥ مخطوط : تيمور .
(٩) مختصر شواذ القرآن : ١٩
(١٠) إصلاح المنطق : ١٣٧ .
(١١) المخصص : ١٢ — ٣١ ، ٣ — ٢٢ ، ٨ — ٦٢ .

وابن جرير الطبرى فى تفسيره[1] ، وأبو الطيب اللغوى[2] فى إبداله وأرجح أصالة الصيغة الواوية ، لكثرة استعمالها ، كما أن الاشتقاق منها .

٢ — ما جاء عن أبى على :

ليث عليه من البردى هبرية كالمزبرانى[3] عيار بأوصال

ويروى : عيّال وعوّال — فأما عوال فمن عال عولا ، وأما عيّال — فلا أعرف ما هى : إلا أن يكون على المعاقبة التى بين الياء والواو بغير علة — وهى حجازية[4] «كما روى عن تميم أنهم يقولون «القنوة ، والحجاز تقول : القنية[5] » وكما جاء فى اللسان أن «حوث» بالواو لغة تميم[6] . وأن تميما تقول : قلنسوة ، على حين أن الحجاز تقول «قلنسية[7] » .

٣ — يقال : قنوت وقنيت : فقد عزيت الصيغة الواوية ، لتميم واليائية حين أن للحجاز[8] .

ومن هذا العرض نقترح أن الحجاز توثر الياء — على حين أن تميما توثر الواو . ولكن قد تقف بعض الشواهد لتحول بيننا وبين نتيجتنا السابقة — وأهمها :

١ — ما رواه أبو هريرة أن قوما يتعادون فقال مالهم ، فقالوا : خرج الدجال : فقال : كذبة كذبها الصيّاغون ، وروى الصواغون : أى اختلقها الكذابون[9] .

٢ — جاء عن ابن منظور فى حديث على رضى الله عنه «واعدت صواغا من بنى قينقاع[10] .

---

(١) تفسير الطبرى دار المعارف ٦ / ١٦٠

(٢) الإبدال لأبى الطيب : ٢ — ٤٧٨ .

(٣) المزبرانى — شعر مجتمع على موضع الكاهل : المخصص : ٨ — ٦٢ .

(٤) المخصص : ٨ — ٦٢ (٥) المزهر : ٢ — ٢٧٦

(٦) اللسان : ٢ — ٤٤٥ (٧) المزهر : ٢ — ٢٧٦ .

(٨) المزهر : ٢ — ٢٧٦ ، وقارنة بما جاء فى قصيدة ابن مالك فى الأفعال الواوية واليائية : المزهر ٢ — ٢٧٩ (٩) اللسان ١٠ — ٣٢٥ . (١٠) اللسان : ١٠ — ٣٢٥

والمعروف أن المتكلم فى النص الأول هو الرسول ، والشاهد الثانى علىّ ، وكلاهما قرشيان ، وكان يجب أن تكون الرواية بالياء فى « صواغا » والصواغون » حتى يستقيم ما سبق أن قررناه ، وأرجح أن رواية الحديث الأولى بالياء ، بدليل ما جاء من رواية أخرى بالياء فيه ، وإنما جاءت رواية الواو ؛ لأن الحديث ربما روى على لهجة رجل من لغته إيثار الواو على الياء ، وأما ما جاء عن ابن منظور فانني أشك فيه ، والروايات اللغوية كثيرا ما حرفت وصحفت ، ومنها جاء البلاء.

٣ — جاء عن ابن السكيت قوله : يقال فلان ذو دغوات ودغيات ، ولم يسمع دغيات إلا فى بيت رؤبة فإنهم زعموا أنه قال « نحن نقول : دغية وغيرنا يقول دغوة . وأنشد (ذا دغيات قلّب الأخلاق[1]) ورؤبة هذا من تميم ، وآثر الياء على الواو — والجواب على هذا الإشكال : أن شاهد رؤبة السابق روى فى ابدال أبى الطيب[2] بالواو ، وكذلك فى اللسان[3] ، وبالرجوع إلى ديوانه وجدتها بالواو ايضا « ديوان رؤبة — ١٨٠ فيكون هذا مما يؤيد رأينا ، وثانيا أن قول ابن السكيت السابق حاكيا رواية الياء لرؤبة تجعلنا نقف موقف الشك منها لقوله « فانهم زعموا» فكأن الرواية لم تفارق منطقة الزعم إلى حدود التأكيد والتأييد .

وهب أن رؤبة قالها بالياء فهل يكفى شاهد واحد — لنقض عدة شواهد متتالية متواترة ؟ .

وبعد أن وضح ما أوردناه فى منطق الحجاز ، وتميم . أريد أن أعرض جوانب أخرى فى بقاع جغرافية لنرى اتجاهات بقية اللهجات العربية فى تلك الظاهرة :

١ — حكى الفراء عن بعض بنى كلب « عنيان الكتاب » فى عنوانه وعلوانه[4].

٢ — شذ فى تثنية الممدود خمسة أشياء منها « حمرايان وحكى بعضهم أنها لغة فزارة[5] « وقياسها » حمراوان[6] » .

---

(١) المزهر : ١ — ٢٥٤ والمعنى : ذو أخلاق رديئة متلونة

(٢) إبدال أبى الطيب : ٢ — ٥١٩

(٣) اللسان ١٨ — ٢٨٨ .

(٤) إبدال السكيت : ٨

(٥) الأشمونى : ٤ — ١١٤ .

(٦) الهمع : ١ — ٤٤

وجاء فى اللسان عن أبى زيد «سمعت بعض فزارة يقول» هما كسايان وخبايان وفضايان ، فيحول الواو إلى الياء[1] ، وقد حكم النحاة بشذوذ لهجة فزارة السابقة[2] ، ولكن الكوفيين قاسوا عليها[3] ، ومنع ذلك غيرهم .

٣ ــ جاء فى الغريب المصنف أن الكسائى ــ سأل بنى سليم عن نما ينمو ــ فلم يعرفوه بالواو[4] ، ومعنى هذا أنهم عرفوه بالياء . ويلاحظ على هذه النصوص أنها آثرت الياء كلهجة الحجاز ، فهل هناك علاقة بين هذه القبائل وبين الحجاز؟

أما «كلب» فقد تأثرت بالحجاز ؛ لأنهم عاشروا على الطريق الذى كان يسلكه الحجازيون فى تجارتهم على حدود الشام[5] ، وأما فزارة فقد كانت بطونها تسكن منطقة الحجاز ، وإن كانت قيسية ، وأما سليم ــ فقد كانت على صلة وثيقة بقريش[6]

فعلاقة هذه القبائل كما ترى ــ وثيقة الصلة بالحجاز ، فاذا عرفت أن الحجاز يغلب عليها طابع الحضارة ، وقد شاركتها القبائل السابقة ــ أمكننا أن نرجح أن القبائل المتحضرة آثرت الياء .

وإذا كان هذا هو موقف القبائل المتحضرة ــ فاننى أعرض الآن نموذجا جديدا لقبائل أخرى لها وضع مميز فى هذه الظاهرة وهى :

١ ــ جاء فى مجالس ثعلب :

تحنّ إلى الفردوس والشّير دونها وأيهات عن أوطانها حوث حلّت

قال أبو العباس : هذه لغته ، وهو رجل من طيء

٢ ــ قال عياض بن أم درّة[7] :

حمى لا يُحِلّ الدهرَ إلا بإذننا ولا نسأل الأقوام عهد المواثق[8]

(ورواه ثعلب عقد المياثق)

---

(١) اللسان : ١ ــ ١٣ .
(٢) التصريح : ٢ــ٢٩٥ ، والأشمونى : ٤ــ٢١٢ .
(٣) الهمع : ١ ــ ٤٤
(٤) الغريب المصنف : ٥٠٢ مخطوط رقم ١٢١ .
(٥) فى اللهجات العربية : ٨٥ دكتور أنيس
(٦) تاريخ العرب : ٤ ــ ١٧٦ جواد على .
(٧) قال أبو سعيد : حفظى عياض بن درة : نوادر أبى زيد : ٦٤ .
(٨) نوادر أبى زيد : ٦٤ ــ ٦٥ ، شرح الشافية : ١ ــ ٢١٠ .

٣ – حكى ابن السكيت عن بعض الطائيين أنهم يقولون « أونق » ثم قلبها بعض العرب ياء تخفيفا فصار « أينق »[١] ، وكما حكاها عن طيء ابن السكيت فقد حكاها عنهم يعقوب[٢] .

٤ – وجاء فى المخصص عن صاحب العين : وطيء تقول : محيته محيا، ومحوا [٣]» .

٥ – جاء فى اصلاح المنطق عن الفراء : ضاره يضيره قال : وزعم الكسائى أنه سمع بعض أهل العالية يقول لا ينفعنى ذلك ولا يضورنى[٤] .

٦ – حكى ابن سيده عن العرب يقولون ما أعيج من كلامه بشيء – أى ما أعبأ به ،وبنو أسد يقولون : ما أعوج[٥] كما روى ابن السكيت عنهم « عزيته إلى أبيه وبنو أسد يقولون : عزوته إلى أبيه »[٦] .

٧ – جاء عن أهل نجد قولهم : لهوت عنه ألهو – وغيرهم لهيت[٧] .

٨ – سمع أبو زيد الأنصارى رجلا من بنى عقيل يقول : هم اللذون قالواذاك[٨]» وفى الفصحى بالياء .

وبالنظر إلى هذه النصوص نرى أن طيئا ، وقبائل أسد ونجد وعقيل آثرت الواو فى تلك الروايات باستثناء الشاهد الثانى الذى ورد مرة بالياء وأخرى بالواو ولكي أرجح رواية الواو لطيء ، ومما يؤيد رواية الواو – قول ثعلب عنها « وهى أجود وأشهر »[٩] ثم ان صاحب رواية الواو هو عياض بن درة– وهو من طيء . وإذا كانت هذه القبائل قد آثرت الواو كتميم –فما العلاقة بينها وبين تميم ؟ لا علاقة بينها إلا أنها قبائل بدوية – فكأن البدو قد مالوا إلى الواو فى تلك الصيغ

---

(١) شرح المفصل : ٨ – ١٢٩ ، إصلاح المنطق : ١٤٤ .

(٢) اللسان : ١٢ – ٢٤١ .

(٣) المخصص : ١٣ – ٧ .

(٤) إصلاح المنطق : ١٣٦ ، المخصص : ١٤ – ٢١ .

(٥) المخصص : ١٤ – ٢١ ، اصلاح المنطق : ١٣٦ ، اللسان : ٣ – ١٦٠ .

(٦) المخصص : ١٤ – ٢٣ .

(٧) نوادر اللغة لأبى زيد : ٨٩

(٨) المصباح : ٢ – ٨٦٢ .

(٩) نوادر اللغة لأبى زيد : ٦٤ – ٦٥

ولكن ألا ينقض هذا التقسيم – ما عثرنا عليه من روايات تسند الكلمة الواحدة وقد وردت بالياء والواو لقبيلة بعينها ؟ فقد ورد فى المخصص عن أبى صخر :

فإن يعذر القلب العشية فى الصبّا فؤادك لا يعذرك فيه الأقاوم[1]

وقد روى « الأقايم » يريد القوم ، وبما أن صخرا هذا من هذيل ، وهذيل تقع فى منطقة الحجاز ، وكان المفروض أن تقول (الأقايم) بالياء ، إلا أنها وردت بالياء مرة والواو مرة أخرى ، وأرجح أن هذيلا وإن كانت تسكن مناطق الحجاز إلا أن جزءا منها كان بدوا يعيش على قنن الجبال ومسارب المياه وكان عملهم إثارة الرعب ، ونهب القوافل ، والصعلكة التى تتمثل فى مجموعة من شعرائها وعدائيها – وهنا نرجح أن الصيغة الواوية للبدو منهم ، واليائية للحضر ، وعلى النظرة إلى المجتمع يمكن أن نحل المشاكل التى تعترضنا ، فإذا ما عزا صاحب الجمهرة صيغة يأتو – بدل : يأتى فى قول خالد بن زهير :

ياقوم مالى وأبا ذؤيب كنت إذا أتوته من غيب[2]

إلى هذيل ، وسار على هذا ابن سيده فى مخصصه[3] ، وأبو على فى أماليه [4] ثم يعرض يونس بن حبيب نصا مخالفا يقول فيه « أجويت القدر » – وهذيل تقول أجبيتها [5] . فكأن هذيلا نطقت مرة بالواو ، ومرة بالياء . وإذا عزى الحميرى – الكلوة – على أنها لغة اليمن فى الكلية[6] » فاننا لا نرى أن اليمن كلها كانت تنطق بالواو فى مثل هذا – بل أرجح أن المجتمع البدوى منهم كانوا ينطقون ذلك بالواو فقط وخير من يمثلهم قبائل خثعم وزبيد

وهذه المعاقبة بين الواو والياء كما كانت فى العربية – حدثت فى أخواتها ، فقد حدث ذلك فى الآرامى « كما أنها وجدت فى النقوش اليمنية فكلمة كلمة : قول – تقابل الكلمة العربية « قَيْل » [7] .

---

(١) المخصص : ١٤ – ٢٢ .

(٢) الجمهرة : ١ – ١٧٠ ، ديوان الهذليين : ١ – ١٦٥ ط دار الكتب .

(٣) ١٤ – ٢٨ (٤) أمالى القالى : ٢ – ٢٠٩ .

(٥) ما تفرد به بعض أئمة اللغة : القسم الثانى مما تفرد به يونس بن حبيب : خط دار الكتب : رقم : ٤١٨ (٦) شمس العلوم للحميرى : ٩٣ (٧) Rabin, p, 148, F,G,

وإذا أردنا أن نوثق هذه اللهجات من القراءات القرانية نجد :

(أ) أن عمر بن الخطاب[1] قرأ « ألله لا إله إلا هو الحىّ[2] القيّام » وأصله القيوام فلما التقت الواو والياء وسبقت الأولى بالسكون ، قلبت الواو ياء ، وأدغمت فيها الياء ، وعمر قرأ على منطق الحجاز ، لأنه قرشى ، والقيّوم — الذى لا ينام بالسريانية (المتوكلى للسيوطى ص ٩) .

(ب) وقوله تعالى « لاتذر على الأرض من الكافرين ديّارا[3] » وهو دوّار : فعال من دار يدور فكأن الآية نزلت على لهجة الحجاز ، وأقرت كذلك[4] فى المصحف ولا شك أن رسم المصحف يعتبر مرشدا إلى حد كبير للهجة الحجازية .

(جـ) وقوله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام[5] قياما » والأصل: قواما ، فحولت واوها ياء ، والدليل لهذا ما جاء من كلام العرب مقولا على أصله — من قول حميد الأرقط (قوام دنيا وقوام دين)

وبعضهم قرأ فى الآية : « قواما للناس[6] » .

(د) وفى قوله تعالى : وعلى الذين يطيقونه فدية — البقرة ١٨٤ . قرأ ابن عباس وعائشة وعكرمة وأيوب السختيانى وعطاء(يُطَوَّقُونَه) ابن خالويه ص١١ والبحر المحيط ٢—٣٥ ، كما قرأها آخرون (يُطَيَّقُونَهُ) البحر المحيط٢—٣٥ وشواذ القرآن لابن خالويه ص ١١ ، والمحتسب لابن جنى ١ — ١٢٥ (تيمورية)

(هـ) وإذا وسعنا الدائرة قليلا وخرجنا من حقل المعاقبة إلى حقل آخر وجدت أن هذا النظام الذى رجحته قد التزم فى عدة ملامح من ظواهر العربية : فالفعل الثلاثى الذى انقلب عين فعله ألفا فى الماضى — إذا بنى للمفعول — نراه يختلف فى

---

(١) تفسير الطبرى : ٦ — ١٥٥ ط دار المعارف ، المحتسب لابن جنى : ١ — ١٧٥ خط بالتيمورية ، مختصر شواذ القرآن : ١٩ ، معانى القرآن للفراء : ١—١٩٠ دار الكتب . ديوان الأدب للفارابى : ورقة : ٣٣٠ خط بدار الكتب رقم : ٣٨٣ لغة تيمور .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٥ (٣) سورة نوح آية : ٢٦

(٤) تفسير الطبرى : ٦ — ١٦٠ (٥) سورة المائدة آية : ٩٧

(٦) تفسير الطبرى : ١١ — ٩١ دار المعارف .

صيغته عند القبائل العربية ، فقريش ومن جاورها من بنى كنانة[1] آثرت الياء فى عينه كقولهم : قيل : على حين قبائل قيس ، وعقيل ومن جاورهم ، وعامة أسد[2] يقولون فيها : « قول » ، بالواو ، كما عزيت الصيغة الواوية أيضا إلى بنى دبير وفقعس[3] ، وقد قرأ بها نافع وابن عامر[4] والكسائى . كما جاء فى البحر أن الكسائى وهشاما قرآ فى : قيل وغيض وحيل وجيء وسيق — بالواو [5] فنجد أن قريشا وكنانة وهما من قبائل الحضر قد آثرتا الياء فى مثل هذه الصيغ ، على حين آثرت أسد ، وقيس ، وعقيل ومن جاورهم وعامة أسد ، وكذلك قبائل دبير ، وفقعس الصيغة الواوية وجميعها يغلب عليها البداوة ؛ إذ فقعس ودبير بطنان من أسد ، وأسد بدوية أو يغلب عليها البداوة ، ومن المفيد أن أشير إلى أن هذه القبائل التى آثرت الواو فى هذه الصيغة كانت جميعها تسكن مناطق بدوية فى نجد .

توضيح وبيان :

وإنما كانت المعاقبة بين الواو والياء ؛ لكثرة شيوعهما فى الكلام ، حيث أدى إلى سهولتهما على الألسن فتعاقبا .

هذا ، وقد ترجع المعاقبة إلى عامل خارجى مثل : الازدواج ؛ فالعرب تقول مثلا للرجل إذا قدم من سفر : أوْبة وطوْبة[6] . أى : أبت إلى عيش طيب ومآب طيّب ، والأصل : طيْبة . فجاءوا بالواو لمساوقة الأسلوب ومحاذاته ، وذلك نفس الازدواج ، ومن ذلك قول الشاعر (عيناء حوراء من العين الحير) والأصل : الحور ، وإنما قالها : الحير — لمكان العين[7] ، كما يكون مرجعها أن الصيغة ربما تلكأت على سلم التطور فتقوقعت فى مرحلة التهذيب ، من ذلك مثلا قول الشاعر :

عدينى أن أزورك أم عمرو دياوين تشقّق بالمداد

وعندما بلغ التطور مداه أصبحت فى الفصحى (دواوين) جمع ديوان .

---

(١) البحر المحيط لأبى حيانى ١ — ٦١
(٢) المرجع السابق
(٣) ابن عقيل ١ — ٤٢٦ فما بعدها ، والبحر المحيط ١ — ٦١
(٤) البحر المحيط ٧ — ١٥١
(٥) البحر المحيط ١ — ٦١
(٦) مزهر السيوطى : ١ — ٣٤٠
(٧) إصلاح المنطق : ١٢٧

كما يمكن أن يرد سؤال مؤداه : هل المعنى يكون واحدا فى الصيغتين الواوية واليائية . بالنظر إلى النصوص الكثيرة نرى أن اللغويين يسيرون على وحدة المعنى بين الصيغتين ، ولكننا نرى أن الدلالة قد تختلف أحيانا يؤيد ذلك :

١ — جاء عن ابن السكيت : سمعت أبا عمر الشيبانى يقول : الكور — المبنى من طين[١] والكير : الزق الذى ينفخ فيه

٢ — قلوت وقليت : تقال لقلى البسر والبر وكل شيء يقلى بالواو والياء ، ولا يكون فى البغض إلا قليت[٢] .وما اختلفت فيه الدلالة لا يكون من باب المعاقبة .

موسيقية المعاقبة :

على أن المعاقبة تمثل جانبا من المرونة اللغوية ، وبذلك يتحقق لها نوع من الموسيقى الظاهرية ، فالصرفيون يرون أن الواو إذا وقعت عينا لجمع على فُعَّل — فالقياس هو الإعلال (صيم ونيم) ثم تسمعهم يقولون إن الأكثر هو التصحيح (صوّم ونوّم) ، كما يرون أن الفعل الثلاثى المفتوح العين الواوى اللام تصح لامه فى اسم بالمفعول مثل: معدوّ ومرجوّ ، ولكن وجدنا نغمة أخرى فى التراث كقول عبد الغوث بن وقاص الحارثى :

وقد علمت عرسى مليكة أننى أنا الليث معديًّا عليه وعاديا[٣]

المعاقبة والمجتمع :

وتطور الصيغة من صوت إلى آخر يحقق مع الجانب الموسيقى كما رأيت — جانبا آخر يتلخص فى أن الصيغتين الواوية واليائية يمكن أن تصور كل منهما ما عليه المجتمع من مستوى متخلف أو متقدم ، حضرى أو بدوى — إذ اللغة نموذج لحياة الشعوب تقدما وتخلفا ، خذ مثلا ماجاء فى طبقات الزبيدى [٤] حين عزا إلى قبيلة بنى عامر صيغة (ماسيّدتك العرب) وقياس هذا الفعل كما تعلم من باب فعل بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع (سوّدتك) . وأرجح أن بنى عامر كلها لم تنطق هذا

---

(١) المزهر : ٢ — ٢٩٠ ، ٢٩٨ . (٢) المزهر : ٢—٢٧٧ وإصلاح المنطق ١٣٩

(٣) أدب الكاتب لابن قتيبة ٤٥٩ (٤) ٢٩٥ ط الخانجى

الفعل بالياء — بل الذين نطقوه منهم كذلك هم الحضر ، ومما يرجح هذا أن منازل بنى عامر بعضها كان فى نجد ، والآخر كان فى الطائف ، ولا شك أن القاطنين منهم فى الطائف كانوا حضرا ، وأن ساكنى نجد كانوا بدوا .

ومن ذلك قراءة من قرأ « لمثوبة من عند الله خير » بسكون الثاء وفتح الواو ، وأرجح أن هذه القراءة لقبيلة متخلفة فى الطور الاجتماعى ، ولو أخذت طريقها صعدا فى الحياة الاجتماعية لأخذت طريقها صعدا فى الحياة اللغوية للارتباط بينهما ، ولهذا جاءت قراءة الجمهور «مثابة : البقرة :١٢٥ » فإذا حكى ابن منظور عن الكلابيين قولهم : لا نعرف المثوبة ، ولكن : المثابة [1] تأكد لنا أن الكلابيين حاضرة ، حكمت عليهم لغتهم بذلك ؛ لأن اللغة بلغت عندهم عن طريق (الإعلال) نهاية التيسير والسهولة ، واللغة فى ارتقائها تسعى إلى ذلك ، والتاريخ يؤكد هذا ، فقد سكنت بعض بطون من كلاب فى جهات المدينة المنورة ، ثم ملكوا بعد ذلك حلب ، وكثيرا من مدن الشام والفرات ، فهم إذن سكنوا المدينة المنورة وهى حاضرة ، كما أنهم ملوك مدن ، فالميزان اللغوى صلح ميزانا نزن به التقدم والتخلف فى المجتمعات. وبهذه المناسبة أنادى بأن يدرس «التصحيح والإعلال » مرتبطا بالنفس والتاريخ والأرض .

حدود المعاقبة :

كما أرى أن توسع أبعاد « المعاقبة » اللغوية فلا تقتصر على تعاقب حرفى الواو والياء كما رأى علماؤنا القدامى ، بل يمكن أن نبسط حدودها ، وننشر أبعادها فتشمل التعاقب بين حركتى الضمة والكسرة ، وقد كان متقدمو النحاة يسمون الضمة الواو الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة أيضا ؛ لأن الواو ليست فى الحقيقة إلا امتدادا للضم مع فرق يسير فى وضع اللسان ، وأن الياء امتداد للكسرة مع فرق يسير فى وضع اللسان أيضا ، ولقد جمعت قدرا صالحا من التعاقب بين الكسرة والضمة ، وكانت نتيجة هذا العمل أن سار فى خط واحد مع تعاقب الواو والياء

---

(١) اللسان ١ — ٢٣٨ .

حيث عزيت صيغ الضم إلى القبائل البادية ، والكسر إلى القبائل القارية[1] ، تماما كالواو والياء ، وذلك يتفق وما أراه من توسيع أبعاد (المعاقبة) لتشمل الواو والياء والضمة والكسرة .

وفى النهاية يؤكد هذا العمل وحدة الظاهرة ، وهذا يقودنا إلى وحدة الحكم بينهما كمارأيت .

ولكن لماذا آثرت القبائل البادية صوت الواو أو الضمة ، والحاضرة صوت الياء أو الكسرة ؟

ربما مالت القبائل البادية إلى الضمة ، وهو مقياس لين خافى ؛ لأن الضم مظهر من مظاهر الخشونة البدوية وطبع الجفاة من الأعراب ، كما مالت القبائل القارية (المستقرة) إلى الكسر ؛ لأن الكسر دليل التحضر والرقة فى معظم البيئات اللغوية ، وإنما وقع بينهما (التعاقب) ؛ لأنهما متشابهان من الناحية الصوتية ، فكلاهما من أصوات اللين الضيقة [2]

هذا ، وقد نظم ابن مالك الأفعال التى جاءت لاماتها بالواو والياء ، كما عقد لها ابن السكيت بابا فى إصلاح المنطق [3] ، وابن قتيبة بابا فى أدب الكاتب[4] ، وأول قصيدة ابن مالك :

قل إن نسبت عزوته وعزيته وكنوْت أحمد كنية وكنيته

وطغوت فى معنى طغيت ، ومن قنى شيئا يقول : قنوته وقنيته

وآخر أبياتها التى بلغت ٤٩ بيتا كما فى رواية السيوطى [5] :

عينى همتْ تهمو وتهمى دمعها وحموته المأكول مثل حميته

---

(١) تضم تميم أوائل : عدوة وعشوة وأسوة وقدوة ، والحجاز تكسر : المزهر ٢–٢٧٧ وإبراز المعانى ٣٣٤ وأنظر إتحاف فضلاء البشر ٣٥٤ . ضم الراء من (رضوان) لغة قيس وتميم : المصباح ١–٣٥٢ ، والكسر لغة أهل الحجاز : إبراز المعانى ٢٦٧ . وكذلك ضم الصاد من (صنوان) لغة تميم وقيس ، وبالكسر لغة أهل الحجاز : البحر المحيط ٥–٣٥٧ . كما عزيت (قنوان) بالضم لقيس، وبالكسر للحجاز : المصباح ٢ – ٧٩٨ ، وجاء فى اللسان (قنيان) بالكسر نسبة إلى كلب ، وبيئة هذه القبيلة ليس إلا امتداداً للبيئة الحجازية المتحضرة أنظر ص٢١١ من هذا البحث . (شواظ) بالكسر لغة الكلابيين – وبعضهم حضر . أنظر ص٢١١ من هذا البحث ،على حين ضم غيرهم من البدو ، كما جاءت قراءة ابن كثير وابن محيصن بكسر الشين ، وابن كثير مكى ، وابن محيصن قرشى فهما يمثلان لهجة الحجاز الحضرية التى تجنح إلى الكسر . (قبلا) بالضم لتميم والكسر لكنانة : كتاب اللغات فى القرآن ص٢٦ . وكنانة من الحضر .

(٢) فى اللهجات العربية ٩١ دكتور إبراهيم أنيس .

(٣) ١٣٨ (٤) ٣٦٤ ، ٤٥٩ (٥) المزهر ٢ – ٢٧٩ .

مصادر البحث

الإبدال . لأبي الطيب عبد الواحد اللغوى الحلبى . ط المجمع العلمى بدمشق تحقيق عز الدين التنوخى ١٩٦٠ ، ١٩٦١ م .

إبراز المعانى من حرز الأمانى . أبو شامة الشافعى ت ٦٦٥ هـ . ط الحلبى ١٣٤٩ هـ

إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر . للشيخ أحمد الدمياطى الشهير بالبناء ١١١٧ هـ . ط حنفى

أدب الكاتب . ابن قتيبة ط السعادة . تحقيق محمد محيى الدين .

إصلاح المنطق . ابن السكيت ت ١٨٦ – ٢٤٤ هـ . دار المعارف بالقاهرة . تحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون .

الأمالى . أبو على القالى ط ٢ . دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ ١٩٢٦ م .

البحر المحيط : أثير الدين أبو حيان الأندلسى الغرناطى الجيانى ت ٧٤٥هـ ط السعادة الأولى ١٣٢٨هـ .

تاريخ العرب قبل الإسلام . د . جواد على . ط . المجمع العلمى العراق .

تفسير الطبرى . جامع البيان عن تأويل آى القرآن . أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى ٢٢٤ – ٣١٠ هـ . تحقيق محمودشاكر ط . دار المعارف ، وكذلك ط . الأميرية .

الجمهرة . ابن دريد الأزدى . ط أولى . حيدر أباد الدكن ١٣٥١ هـ .

ديوان الأدب . للفارابى مخطوط بمكتبة تيمور ٣٨٣ لغة .

ديوان الهذليين . ط . دار الكتب .

شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ط . دار إحياء الكتب العربية . أولى .

شرح شافية ابن الحاجب ط . حجازى .

شرح ابن عقيل ط . السعادة . الطبعة السابعة بتحقيق محمد محى الدين .

شرح المفصل . لابن يعيش ط . الطباعة المنيرية .

الغريب المصنف . أبو عبيدالقاسم بن سلام ١٢١ لغة ، محفوظ بدار الكتب .

فى اللهجات العربية . دكتور إبراهيم أنيس ط الثانية . لجنة البيان العربى .

القرآن الكريم .

كتاب اللغات فى القرآن ط . الرسالة (المسند إلى ابن عباس) بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد – القاهرة .

لسان العرب . ابن منظور ط . بولاق الأميرية .

اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة . مخطوطة بمكتبة كلية الآداب – جامعة القاهرة : الدكتور أحمد علم الدين الجندى .

ما تفرد به يونس بن حبيب . مخطوطة بدار الكتب ٤١٨ لغة .

المحتسب فى شواذ القراءات والإيضاح عنها . ابن جنى . مخطوط بمكتبة تيمور ٣٧٩ تفسير .

مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع . ابن خالويه . عنى بنشره . ج . برجشتراسر بجمعية المستشرقين الألمـــانية . ط . الرحمانية . مصر ١٩٣٤ م .

المخصص . ابن سيدة ت : ٤٥٨ هـ . ط أولى .

المزهر . جلال الدين السيوطى . دار إحياء الكتب العربية .

المصباح المنير .

معانى القرآن . أبو زكريا الفراء ٢٠٧ هـ . دار الكتب .

منتخبات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم . نشوان بن سعيد الحميرى ت ٥٧٣ هـ . نشرها عظيم الدين أحمد . بريل ١٩١٦ م .

نوادر اللغة . أبو زيد الأنصارى . بيروت ١٨٩٤ م .

همع الهوامع شرح جمع الجوامع . جلال الدين السيوطى . مطبعة السعادة ط . أولى ١٣٢٧ هـ .

1. C. Rabin, Ancient West Arabian. London 1951.

2. Arthur Jeffery. Materials for the History of the Text of the Qurān. Leiden, «Brill. 1937».